http://virtuelcampus.univ-msila.dz/leltp/?=212

المجلّد: 01 العدد: 02 (2021) ص197–212

# بلاغة الحذف المقابلي في القرآن الكريم: سورة عم أنموذجا

# The rhetoric of Elimination by substitution in the Holy Qur'an: Surat Amma as a model-

د. أحمد لعويجي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)
laoudjiahmed@yahoo.fr

أ. عبد الصمد علواني
المركز الجامعي سي الحواس–بريكة (الجزائر)
Allouaniabdou@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الإرسال:
2021/08/13
تاريخ القبول:
2021/09/12

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الحذف المقابلي
- ✓ الإعجاز القرآني
- ✓ السنة النبوية الشريفة

الملخّص:

الحذف المقابلي في العموم هو الشّد والإحكام في بناء النّص الدّيني وتحسين أثر الصنعة فيه، كما يعتبر من ألطف أنواع البديع، وذلك الأسلوب في الحذف يسمو بالنّص الدّيني من خلال وحدته إلى بلوغ مرتبة الإعجاز القرآني باعتباره المشرع الأول الّذي لا يقف عند ظاهرة معينة ولا زمن محدّد، كما تميز بإعجازه من الصوت إلى الصرف والتركيب والدّلالة، فكان بليغا لا يشوبه شيء، في حين المصدر الثاني للإعجاز السنة النبوية الشريفة ويتجلّى ذلك في قلّة حروفها وكثرة معانيها، كما تبتعد عن التكلّف. واستعمالها الحذف في مواضعه الّتي تجعله أكثر جمالية. ومن هنا حاولنا في هذه المداخلة أن ندرس جانبا من هذا المحور وذلك في سورة عم، بالتعمق في هذه الصورة البلاغية وتقصيها في سورة عم، وبيان أثرها ومواطن الإعجاز فيها.

*Article info*

***Received*:**
*13/08/2021*
***Accepted*:**
*12/09/2021*

***Abstract:***

*The elimination by substitution in general is the cohesion an unity in constructing religious text and improving the effect of its production, as it is considered one of the nicest types of innovation, and this method of deletion transcends the*

*religious text through its unity to reach the rank of the Qur'anic miracle as the first legislator that does not stop at a specific phenomenon nor a specific time. It was also distinguished by its miraculousness from sound to morphology, structure, and semantics, so it was eloquent and untainted by anything, while the second source of miracles is the honorable Sunnah of the Prophet, and this is reflected in the low number of its letters and the abundance of its meanings, as it strays away from pretension. And its use of deletion in its places, which makes it more aesthetic. Hence, in this paper, we tried to study part of this axis in Surat Amma, by delving into this rhetorical picture and investigating it in Surat Amma, and to explain its impact and the miraculous places in it.*

**Keywords:**

- ✓ *Elimination by substitution*
- ✓ *Inimitability of the Qoran*
- ✓ *the Sunnah of the Prophet*

**1. الحذف المقابلي -الاحتباك- عند العلماء قديما وحديثا:**

**1.1. الاحتباك في مفهومه اللغوي:** حبْك: الحبك الشد واحتبك بإزاره اختبأ به وشده إلى يديه والحبكة أن ترخي من أثناء حجزتك من بين يديك لتحمل فيه الشيء ما كان .وقيل الحبكة الحجزة بعينها ومنها أخذ الاحتباك، بالباء، وهو شد الإزار وحكي عن ابن المبارك أنه قال: جعلت سواك في جيبي أي في حجزتي وتحبَّك شدَّ حجزته وتحبكت المرأة في نطاقها شدته في وسطها وروي عن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تحتبك تحت الدرع في الصلاة أي تشد الإزار وتحكمه[1]

وقد يستعمل للزينة (حبك السماء) في قوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴾( الذاريات 7) أي بمعنى الخلق الحسن المحكم والحبُك: الطرق لأن السماء فيها طرق النجوم يقول السيوطي: ( ومأخذ التسمية من الحبك الذي معناه الشد والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب سد ما بين خيوطه من الفرج وشده وإحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق وبيان أخذه منه من أن مواضع الحذف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر في نظمه وحوكه فوضع المحذوف مواضعه كان حابكا له مانعا من خلل يطرقه فسد بتقديره ما يحصل به الخلل مع ما أكسبه من الحسن والرونق[2]

ومما سبق ذكره يتبين لنا أن كلمة احتباك تحيلنا من معناها اللغوي إلى الشيء المحكم والمفتول القوي في بنائه المنتظم في حياكته وهذا الإحكام يستطيع أي قارئ معاينته لأن النسيج فيه يكون متكاملا محكم الصناعة فيجد أثره في نفسيته ويطربه أيما طرب وهناك نوع آخر من الحس غير المرئي الذي يحتاج قارئا متمعنا متفحصا لكنه الأسرار وفهم الألغاز البلاغية في نص من النصوص.

**2.1. الاحتباك في الاصطلاح:** أما في الاصطلاح البلاغي فهو وجه من أوجه الحذف المعروف كذلك باسم الحذف التقابلي ومن أبرز من أطلقوا اسم احتباك برهان الدين

البقاعي 3 (885ه) وجلال الدين السيوطي4 (911ه) وغيرهم. والاحتباك حذف ما في الأوائل لوجود ما دل عليه في الأواخر أو حذف ما في الأواخر لوجود ما دل في الأوائل لغرض بلاغي وقد أطلق عليه السجلماسي5 اسم الحذف المقابلي ومن أوائل المتحدثين فيه بدر الدين الزركشي"[6]

وما يفهم من هذه التعاريف أن الاحتباك باب من البديع مبني على الحذف والاختصار ومعنى ذلك أنه لو كانت لدينا متوالية نرمز لها بالأرقام 1 و2 و3 و4. ونقسم هذه المتوالية إلى ثنائيين1- 2، 3-4.

فإنه أفقيا توجد علاقة تقابل فردي زوجي وعموديا توجد علاقة تشابه فردي فردي 3-1 وعلاقة تشابه زوجي زوجي 2-4 ويحدث الاحتباك بحذف عنصرين على المحور الوتري 4-1 أو 3-2 فلا يبقى إلا عنصران 2-3 أو 1-4 وبعملية ذهنية منا نستطيع اكتشاف العناصر المحذوفة، وكرأي نقول إن الاحتباك هو عملية رياضية ذهنية يتم وفقها حذف المتقابلات المتشابكات مع ترك أثر يحيلك على المحذوف من الكلام.

ويعرفه الإمام السيوطي بقوله (من أنواع الحذف ما يسمى بالاحتباك وهو من ألطف الأنواع وأبدعها وقل من تنبه له من أهل فن البلاغة ولم أره إلا في شرح بديعية الأعمى لرفيقه الأندلسي"[7] وذكره الزركشي في البرهان ولم يسمه هذا الاسم بل سماه الحذف المقابلي وأفرده في التصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعي، قال الأندلسي في شرح البديعية من أنواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول). والمفهوم من هذا أن الاحتباك واقع في كلام العرب غير أن التفطن إليه ومعرفته جاء لاحقا مع العلماء المتأخرين الذين أطلقوا عليه هذه التسمية.

**3.1. العلاقة بين التعريف اللغوي بالاصطلاحي:** من خلال هذه التعاريف تظهر جليا العلاقة بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي انطلاقا من التسمية المأخوذة من الشد

والإحكام وتحسين أثر الصنعة في الثوب وسد ما بينه من الفرج بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق كذلك مواضع الحذف في الكلام تشبه مواضع الفرج بين الخيوط ولما أدركتها الصياغة الماهرة والصنعة القادرة كانت حائكة مانعة من كل خلل يفسد رونق الكلام وهذا ما يحيلنا إلى أن المعنى الاصطلاحي مأخوذ من المعنى اللغوي.

**4.1. علاقة الاحتباك بالإيجاز:** لو تأمل القارئ لأسلوب الاحتباك لوجده بابا دقيق المسلك عجيب الأسر لا يرى عليه أثر الإطناب والإطالة بل إنه جزل موجز ذو قيمة فنية وذائقة راقية يتيسر للقارئ الحاذق فيدرك محاذيفه ويكتنه أسراره. كما أن الإيجاز يجوع اللفظ لاحتواء الكثير من المعاني لذلك فكلما وقع احتباك في كلام إلا والإيجاز سبب فيه.

**5.1. علاقة الاحتباك بالبلاغة:** يعتبر **الاحتباك** نوعا هاما من أنواع الحذف لدى البلاغيين. وقد اختلف العلماء بين من يصنفونه في علم البديع كالسلجماسي في كتابه (المنزع البديع) وبين من يجعلونه في علم المعاني كونه يهتم بدراسة التراكيب وكيفية بنائها وما دام أن الحذف باب أساسي في البلاغة فإن الاحتباك لاشك نوع من أنواعه فإنه يندرج ضمن المباحث البلاغية.

**2. نبذه عن الاحتباك قديما وحديثا:** إن من أول الإشارات لهذا الفن البلاغي تفطنُ النحوي سيبويه في فهم قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ البقرة ﴿١٧١﴾ وقال أن الله لم يشبه الكفار بما ينعق. وإنما شبههم بالمنعوق به والمعنى مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ولكن جاء سياق الآية بهذا الشكل لفهم المعنى[8]. وحظي قول سيبويه باهتمام العديد من العلماء وكان الباب الذي فتح ليتوسع فيه المتأخرون. وذهب الزجاج إلى تأويل قول عمر بن الخطاب ( لتُذكَّ لكم الأسل والرماح والسهام. وإياي وأن يحذف أحدكم الأرنب). حيث قال: أصله إياي وحذف الأرنب وإياكم وحذف الأرنب فحذف من كل جملة ما ثبت في الأخرى.

ومن ذلك ما جاء في تفسير الامام الطبري في كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)[9] وقوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ البقرة ﴿١٣٥﴾ والتقدير قالت اليهود لأمة محمد كونوا يهودا تهتدوا وقالت النصارى لهم كونوا نصارى تهتدوا والملاحظ لهذه أن الحذف لكلمة تهتدوا لدلالة مثلها عليها وفي الطرف الثاني المحذوف كونوا لوجود ما دل عليها في الأول.

وتعتبر هذه اللمسة إشارة لهذا الفن وتفطن لوجود محاذيف في الآية الكريمة أضفت طابعا بلاغيا جزلا وتعبيرا قويا يفهمه المتضلع في اللغة وعلومها. ومن بين العلماء كذلك نجد الزمخشري (538ه)[10] في كتابه الكشاف ويعتبر أول من طبق نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني تظهر بعض ملامح الاحتباك في تفسيره قول المولى عز وجل: ﴿ وَآخَرونَ اعتَرَفوا بِذُنوبِهِم خَلَطوا عَمَلًا صالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتوبَ عَلَيهِم إِنَّ اللَّهَ غَفورٌ رَحيمٌ﴾ التوبة ١٠٢

فإن قلت: قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به ؟ قلت: كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به، لأن المعنى خلط كل واحد منهما الآخر كقولك: خلطت الماء واللبن. تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وإذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء[11]

وقد أشار القرطبي"[12]للاحتباك في تفسير قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة﴿٢٦١﴾ وتفسيرها: مثل الذين ينفقون أموالهم كمثل زارع زرع في أرض حبة فأنبتت الحبة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة فشبه المتصدق بالزارع وشبه الصدقة بالبذر وهذا هو الاحتباك فقد شبه المنفق بالزارع لذلك فالمنفق مذكور قابله محذوف وهو الزارع والنفقة محذوفة قابلها مذكور وهو حبة وهذا تقريبا ما ورد ذكره

لدى أشهر علمائنا الأوائل إذ أنهم كانوا على علم واسع بهذا الفن إلا أنهم لم يطلقوا عليه اسمالاحتباك.

ثم بعد ذلك أصبح المجال مفتوحا للتوسع في هذا الباب فمن خلال هذه الإشارات استطاع ابن حيان الأندلسي ت( 745ه) من أول من يبنوا وفصلوا في شرح الاحتباك وذلك يظهر في تعليقه في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة ﴿٢٢٨﴾ قوله: (هذا من بديع الكلام إذا حذف شيئا من الأول أثبت نظيره في الآخر وأثبت شيئا في الأول حذف نظيره في الآخر وأصل التركيب (ولهن على أزواجهن مثل الذي لأزواجهن عليهن) فحذفت على أزواجهن لإثبات عليهن وحذف لأزواجهن لإثبات لهن[13]

مع أن أبي الحيان الأندلسي لم يذكر اسم احتباك في تفسيره ومن الآيات الواقعة احتباكا في تفسيره قوله سبحانه وتعالى: ﴿ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾الأحزاب ﴿٨﴾ والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أكد على الأنبياء الدعاء إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين وأعد للكافرين عذابا أليما أو ما دل عليه ليسأل الصادقين كأنه قال فأناب المؤمنين وأعد للكافرين ’قالهما الزمخشري (ويجوز أن يكون حذف من الأول ما أثبت به الصادقون وهم المؤمنون وذكرت العلة فحذفت من الثاني العلة، وذكر ما عوقبوا به فكان التقدير (ليسأل الصادقين عن صدقهم فأثابهم ويسال الكافرين عما أجابوا به رسلهم. (وأعد لهم عذابا أليما) فحذف من الأول ما أثبت مقابله في الثاني ومن الثاني ما أثبت مقابله في الأول وهذه طريقة بليغة[14]. وحسب ما يبدو أن أبا حيان الأندلسي هو أول من وضح هذا النوع البديعي توضيحا دقيقا غير أنه لم يتوصل إلى تسميته بالاحتباك وكل الدراسات التي جاءت بعده بنت على منهجه وأفكاره وإن لم يذكروا هذا فإنهم استفادوا منه .

ونجد أن الإمام الزركشي قد أطلق تسمية الحذف المقابلي للاحتباك وقال في تعريف له (وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه كقوله تعالى: ﴿٣٥ أَم يَقولونَ افتَراهُ قُل إِنِ افتَرَيتُهُ فَعَلَيَّ إِجرامي وَأَنا بَريءٌ مِمّا تُجرِمونَ﴾هود ﴿٣٥﴾ فنسبة قوله تعالى: (إجرامي) وهو الأول إلى قوله (وعليكم إجرامكم).

-وهو الثالث- كنسبة قوله (وأنتم برآء منه) وهو الثاني إلى قوله تعالى (وأنا بريئ مما تجرمون) وهو الرابع واكتفى من كل متناسبين بأحدهما ومنه قول تعالى: (فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) سورة الأنبياء 5. وتقديره إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوا بآية. وقوله تعالى: (ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) سورة الأحزاب 24. تقديره كما قال المفسرون ويعذب المنافقين إن شاء فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذبهم. وعند ذلك يكون مطلق قوله فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم مقيدا بمدة الحياة الدنيا.

وقوله تعالى: (فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله سورة البقرة 222. فتقديره لا تقربوهن حتى يطهُرن ويطَّهرن فإذا طهرْن وتطّهرن فأتوهن ، وهو قول مركب من أربعة أجزاء ، نسبة الأول إلى الثاني كنسبة الثاني إلى الرابع ، ويحذف من أحدهما لدلالة الآخر[15]. ومن خلال ما أورده الزركشي في كتابه البرهان في علوم القرآن تظهر استفادته في كنه عملية التناسب بين المحاذيف من أبي حيان الأندلسي فقد قدم شرحا تفصيليا لظاهرةالاحتباك وما أضافه على سابقيه تسمية الحذف المقابلي.

وقد بدأت تسمية الاحتباك بعد الزركشي ونجدها لأول مرة مع الإمام الشريف الجرجاني[16] توفي (816هـ) في كتابه معجم التعريفات قال (هو أن يجتمع في الكلام متقابلان ويحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه كقوله علفتها تبنا وماء باردا أي علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا[17]استنادا على قول الشاعر:

علفتها تبنا وماءً باردا حتى شتت همالة عيناها

رغم أن الاستشهاد بهذا المثال ليس من شأنه أن يفهمنا الاحتباك لأن الحذف فيه حصل في موضع واحد وعارض التعريف الذي قدمه الشريف الجرجاني لأن الاحتباكيشترط فيه اجتماع متقابلين ويتم حذف كل واحد منهما ليبقى الآخر دالا عليه.

أما الإمام السجلماسي[18] يقول (والحذف التقابلي اسمان له عندنا في هذه الصناعة مترادفان والموطئ فيه بيّن والفاعل هو القول المركب من أجزاء فيه متناسبة نسبة الأول منها إلى الثالث كنسبة الثاني إلى الرابع أو ما كانت فيه النسبة كنحو ذلك فاجتزئ من كل متناسبين بأحدهما لقطع الدلالة مما ذكر على ما ترك وقولنا في الفاعل أو على ما كانت النسبة فيه كنحو ذلك لنحويَ به ما كان نسبته الأول فيه إلى الثاني كنسبة الثالث إلى الرابع كما في بعض صور هذا النوع أقلُ ذلك والأول أكثره وأعمه وهذا النوع بالجملة هو من النوع الجميل ذي الطلاوة والبهجة والماء والعذوبة ،الجزل المقطع الغريب المنزع، اللذيذ المسموع، لما بين أجزائه من ارتباط[19] ومن وصفه بهذا الشكل لأسلوب الاحتباك ينم عن إعجابه الشديد به وبدقة مسلكه وبديع إيجازه ولطف مأخذه بترك الأثر الجميل في أذن سامعه ولما له من أريحية في النفس التي مردها دائما لأسلوب الحذف وقد ذكره في الكثير من الأمثلة نذكر من بينها قوله سبحانه وتعالى: ﴿ بَل قالوا أَضغاثُ أَحلامٍ بَلِ افتَراهُ بَل هُوَ شاعِرٌ فَليَأتِنا بِآيَةٍ كَما أُرسِلَ الأَوَّلونَ﴾ الأنبياء ﴿٥﴾ وتقدير محذوفاته (إن أرسل فليأتنا بآية كما أرسل الأولون فأتوا بآية) فنسبة قوله (إن أرسل) وهو المحذوف الأول إلى قوله (كما أرسل الأولون) -وهو المثبت الثالث- كنسبة قوله - (فليأتنا بآية) - وهو الثاني المثبت -إلى قوله (فأتوا بآية) -وهو الرابع المحذوف ، فاجتزئ من كل متناسبين بأحدهما لقطع الدلالة عليه وذلك أنه اجتزئ من الأول المحذوف وهو قوله (إن أرسل) بالثالث المثبت وهو قوله (كما أرسل الأولون) كما اجتزئ من الرابع المحذوف وهو قوله (فأتوا بآية) بالثاني المثبت وهو قوله (فليأتنا بآية) فحذف من الأول ما أثبت في الثاني ومن الثاني ما أثبت في الأول[20].

ونستنتج من كلام السجلماسي أنه يشترط في الاحتباك المقابلة بين المذكور والمحذوف ويكون إذ ذاك المحذوف مقابلا لمحذوف آخر

ومن بين العلماء الذين ذكروا تسمية الاحتباك الإمام البقاعي[21] في تعليقه على قوله سبحانه وتعالى (يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ) (27) بما فتنهما به بعد أن كانا سكناها وتمكنا فيها وتوطناها وقد علمتم أن الدفع أسهل من الرفع فإياكم ثم إياكم فالآية من الاحتباك ذكر الفتنة أولا دليلا على حذفها ثانيا والإخراج ثانيا دليلا على حذف ضده أو نظيره أولا [22]

ونجد أن البقاعي مرات يكتفي بتحديد أركان الاحتباك ولا يدخل في شرحه ولا يقدر المحاذيف كما في قوله تعالى: ﴿كَذلِكَ زَيَّنّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُم﴾ الأنعام ﴿١٠٨﴾ أي طائفة عظيمة مقصودة (عملهم) أي القبيح الذي أقدموا عليه بغير علم بما تخلفه في قلوبهم من المحبة له ردا منا لهم بعد العقل الرصين أسفل سافلين حتى رأوا حسنا ما ليس بالحسن لتبين قدرتنا فكان في ذلك أعظم تسلية وتعزية والآية من الاحتباك: إثبات بغير علم -أولا دال على حذفه ثانيا وإثبات التزيين ثانيا دليل على حذفه أولا.[23]

وكذلك قوله تعالى ﴿ وَتَحمِلُ أَثقالَكُم إِلى بَلَدٍ لَم تَكونوا بالِغيهِ إِلّا بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُم لَرَءوفٌ رَحيمٌ﴾ النحل ﴿٧﴾ والآية من الاحتباك: ذكر حمل الأثقال أولا دليلا على حمل الأنفس ثانيا وذكر مشقة البلوغ ثانيا دليلا على مشقة الحمل أولا[24]

ونجده في مواضع أخرى قد ذكر أركانالاحتباك وبين بلاغته وكشف أسراره كتعليقه على قوله عز وجل﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ النصر﴿٣﴾قال وقد علم أن الآية الأخيرة من الاحتباك دل بالأمر بالاستغفار على الأمر بالتوبة وبتعليل الأمر بالتوبة على تعليل الأمر بالاستغفار[25]

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾

القارعة ﴿١١﴾ فالآية منالاحتباك ذكر العيشة أولا دليلا على حذفها ثانيا وذكر الأم ثانيا دليلا على حذفها أولا.

ونجد أن البقاعي في العديد من المواضع يذكر لنا التقدير ويحدد الأركان كتعليقه على قوله تعالى (قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا) الجن (21) فالآية من الاحتباك وهو ظاهر على هذا التقدير، قال أبو حيان : فحذف من كل ما يدل مقابله عليه -انتهى – ويجوز أن يكون تقديره : لا أملك ضرا لأني لا أملك لكم إضلالا ولا أملك لكم رشدا فلا أملك لكم نفعا فإنه لا نفع في غير الرشاد ولا ضر في غير الضلال[26]

كما نجده في مواضع أخرى يقدر المحاذيف ويذكر لنا وجه البلاغة في الآية كتعليقه على قوله عز وجل: ﴿ قالَ هذا فِراقُ بَيني وَبَينِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأويلِ ما لَم تَستَطِع عَلَيهِ صَبرًا ﴾الكهف ﴿٧٨﴾ ورأى أن الآية يوضحها الاحتباك قال تقديره: فراق بيني من بينك كما أخبرت وفراق بينك من بيني كما شرطت[27]

ويعرف البقاعي الاحتباك في قوله (وهو أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء إيجازا يدل ما ذكر من كل على ما حذف من الآخر وبعبارة أخرى هو أن يحذف من كل جملة شيء إيجازا ويذكر في الجملة الأخرى ما يدل عليه[28]وقد أظهر إعجابه الشديد بهذا الفن حيث يقول مرة احتباك عجيب[29] ومرة يقول ومن عظيم هذا الفن[30] وقال في تفسير قوله تعالى (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) ولما كان الخلط جمعا في امتزاج كان بمجرد ذكره يفهم أن المخلوط امتزج بغيره فالإتيان بالواو في (آخر) يفهم أن المعنى خلطوا عملا صالحا بسيئ وآخر سيئ وآخر صالحا بسيئ فهو من ألطف شاهد لنوع الاحتباك[31]وكل هذا يظهر ويكشف لنا عن إعجاب الإمام البقاعي الشديد بهذا الفن العزيز في الكتاب العزيز وقوة تأثيره في النفس.

وكل من جاء بعد البقاعي أصبح يطلق عليه تسمية الاحتباك كالإمام جلال الدين السيوطي (911هـ) حيث إن إشارته لم تكن مختلفة عن سابقيه وقد ذكر هذا الفن في

كتب عديدة مثل الاتقان في علوم القرآن وكتاب التحبير في علم التفسير وقد أبدع هذا الأخير في الربط بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي وشبه مواضع الحذف في الكلام بالفرج بين الخيوط المنسوجة فحبك الثوب سد خلله لتحسين صورته وبهاء شكله وحبك الكلام للإيجاز والرونق. نجده يتكلم عن الاحتباك فيقول (هذا النوع من زياداتي ’وهو نوع لطيف’ ولم نر أحدا ذكره من أهل المعاني والبديع وكنت تأملت قوله تعالى (لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) والقولين اللذين في الزمهرير فقيل: هو القمر في مقابله الشمس وقيل هو البرد فقلت لعل المراد به البرد ،وأفاد بالشمس: أنه لا قمر فيها، وبالزمهرير أنه لا حر فيها فحذف من كل شق مقابل الآخر. وقلت في نفسي هذا نوع من البديع لطيف لكنّي لا أدري ما اسمه ولا أعرف في أنواع البديع ما يناسبه حتى أفادني بعض الأئمة الفضلاء أنه سمع بعض شيوخه قرر له مثل ذلك في قوله تعالى (فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) قال: فأفاد بقوله كافرة أن الفئة الأولى مؤمنة وبقوله (تقاتل في سبيل الله) أن الأخرى تقاتل في سبيل الطاغوت قال: وهذا النوع يسمى بالاحتباك.

قال الإمام الفاضل المذكور: وتطلبتُ ذلك في عدة كتب فلم أقف عليه وأظنه في شرح الحاوي لابن الأثير ،ثم صنف المذكور في هذا النوع تأليفا لطيفا سماه : الإدراك لفن الاحتباك[32] ولا يفهم أن السيوطي أراد بقوله (من زياداتي) أنه من أضاف هذا الفن واخترعه لأن هناك من سبقه من العلماء إليه وإنما ما يفهم أنه من أول من عده من البديع وكتب عنه في منظومته فهو يقول في أبيات من منظومته:

قلت ومنهالاحتباك يختصر من شقي الجملة ضد ما ذكر

وهو لطيف راق للمقتبس بينه ابن يوسف الأندلسي

وهذه الأبيات وما بعدها إلى القسم الثاني كلها من زياداتي فمن أنواع البديع الاحتباك[33] ويبدو لنا كدارسين أن السيوطي لم يكن مطلعا على ما قدمه العلماء قبله من شرح مفصل لهذا الفن لذلك كان سبب فهمه للاحتباك صدفة عن طريق أحد الأئمة

الذين حملوا أفكار شيوخكم كما ذكر آنفا. كما ذكر الألوسي (1270) في غير موضع لأسلوب الاحتباك في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) وقد تطرق إلى العديد من الآيات التي قال بوجود الاحتباك فيها منها قوله تعالى: ﴿ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِالنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾وَالَّذِينَكَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ يقول: والقول بأن المراد من التكذيب بالايات عمل السيئات أو في الكلام صنعة الاحتباك، والأصل فالذين آمنوا وصدقوا بآياتنا وعملوا الصالحات في جنات النعيم، والذين كفروا وكذبوا بآياتنا وعملوا السيئات فأولئك لهم عذاب مهين خلاف الظاهر كما لا يخفى[34]

ومن بين العلماء كذلك الذين أولوا الاهتمام بموضوع الاحتباك صاحب تفسير التحرير والتنوير الطاهر بن عاشور توفي (1393ه) وقد أشار إلى أن القراءات القرآنية قد تكون سببا في إحداث الاحتباك من ذلك قوله في قوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾

وأما قوله (وأكن) فقد اختلف فيه القراء فأما جمهور فقرأوه مجزوما بسكون آخره على اعتباره جوابا للطلب مباشرة لعدم وجود فاء السببية فيه واعتبار الواو عاطفة جملة على جملة وليست عاطفة مفردا على مفرد وذلك لقصد تضمين الكلام معنى الشرط زيادة على معنى التسبب فيغني الجزم عن فعل الشرط فتقديره إن تؤخرني إلى أجل قريب أكن من الصالحين جمعا بين المتسبب المفاد بالفاء والتعليق الشرطي المفاد بجزم الفعل. وإذا كان الفعل الأول هو المؤثر في الفعلين الواقع أحدهما بعد فاء السببية والآخر بعد واو العاطفة العاطفة عليه فقد أفاد الكلام التسبب والتعليق في كلا الفعلين وذلك يرجع إلى محسن الاحتباك فكأنه قيل لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصّدّق وأكون من ذ1الصالحين. إن تؤخرني إلى أجل قريب أصّدّق وأكن من الصالحين.

ومن لطائف هذا الاستعمال أن هذا السائل بعد أن حث سؤاله أعقبه بأن الأمر ممكن فقال إن تؤخرني إلى أجل قريب أصّدّق وأكن من الصالحين وهو من بدائع الاستعمال القرآني لقصد الإيجاز وتوفير المعاني[1]

الآيات التي وردت احتباكا في سورة عمّ:

| الرّقم | الآية |
|---|---|
| 1 | (9) وجعلنا اللّيل لباساً (10) وجعلنا النّهار معاشاً (11) النّبأ |
| 2 | (28) وكلّ شيء أحصيناه كتاباً (29) النّبأ |

[1]. ابن منظور، (دس)، لسان العرب مادة ( ح، ب، ك )، دط، ص407-408.

[2]. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، (1394هـ- 1974م)، الإتقان في علوم القرآن، دط، ص182.

[3]. ينظر: البقاعي، برهان الدين، ((1396هـ -1976م )، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، القاهرة، ط1، م4-ص263 و م 15 ص111.

[4]. ينظر: المرجع نفسه.

[5]. ينظر: السجلماسي، أبي القاسم، (1401هـ -1980م)، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، الرباط، ط1، ص131.

[6]. ينظر: الزركشي، بدر الدين مُحَمَّد ابن عبد الله، (دس)، البرهان في علوم القرآن، بيروت، دط، ص129.

[7]. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان، الاتقان في علوم القرآن، ص182.

[8]. سيبويه، الكتاب، 1-212.

[9]. الطبري، مُحَمَّد بن جرير، (1408هـ -1988م)، تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، 2 ص589.

[1]. الشيخ الإمام مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ص254.

[10]. الزمخشري، محمود بن عمر، (دس)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل متوفى سنة 538 رتبه وضبطه وصححه مصطفى حسين أحمد.

[11]. الكشاف جزء2، ص307.

[12]. القرطبي، مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري، (1427هـ-2006م)، الجامع لأحكام القرآن، بيروت-لبنان سنة النشر().

[13]. أبي حيان الأندلسي البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهيد المتوفى سنة 745هـ، علي مُحَمَّد معوض شارك في تحقيقه الدكتور زكريا عبد المجيد الشوقي-الدكتور أحمد النجولي الجمل قرظه الدكتور عبد الحي الفرمادي، بيروت-لبنان، ط1.

(1413هـ - 1993م) الجزء الثاني من البقرة 177 إلى آل عمران 101، ص200.

[14]. المرجع السابق نفسه، ج7، ص209-2010.

[15]. ينظر: البرهان في علوم القرآن ج3، ص129.

[16]. الجرجاني، علي بن مُحَمَّد السيد الشريف، (816-1413م)، معجم التعريفات حققه ودرسه مُحَمَّد الصديق المنشاوي طبع بدار الفضيلة للنشر والتصدير

[17]. للشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص13.

[18]. سبق ذكره في ص2 من البحث.

[19]. المنزع البديع، ص195.

[20]. المرجع السابق، ص196 وما يليها.

[21]. سبق ذكره في ص1 من البحث.

[22]. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج7، ص381.

[23]. المرجع السابق، ج7، ص228.

[24]. المرجع نفسه، ج11، ص109.

[25]. المرجع نفسه، ج22، ص321.

[26]. نظم الدرر، ج20، ص494.

[27]. المرجع نفسه، ج12، ص117.

[28]. المرجع نفسه، ج4، ص263.

[29]. المرجع نفسه، ج15، ص380.

[30]. المرجع نفسه، ج15، ص197.

[31]. المرجع نفسه، ج9، ص10.

[32]. فتحي، عبد القادر فريد، (1402هـ1982م)، التحبير في علم التفسير لجلال الدين السيوطي حققه وقدم له ووضع فهارسه، ص282 وما يليها.

[33]. السيوطي، جلال الدين، (2011م)، شرح عقود الجمان في المعاني والبيان ، بيروت-لبنان، ص302.

[34]. البغدادي، للعلامة الألوسي، (دس)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دط، ص187.